

النتائج

التعريف بالاستشراق الأمريكي، والدعوة الإسلامية

وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: تعريف الاستشراق، والاستشراق الحديث.

المبحث الثاني: تاريخ أمريكا، وبداية اهتمامها بالاستشراق.

المبحث الثالث: أهم مراكز الاستشراق الأمريكي الحديث.

المبحث الرابع: طبيعة الاستشراق الأمريكي الحديث وأهدافه.

المبحث الخامس: تعريف الدعوة الإسلامية.

المبحث الأول

تعريف الاستشراق والاستشراق الحديث

المطلب الأول: تعريف الاستشراق في اللغة:

(الاستشراق) كلمة «مولدة عصرية»^(١)، مشتقة من الأصل الثلاثي (شرق)، والشرق في لغة العرب يطلق على معان، من أهمها ما يلي^(٢):

الشَّرْقُ: الشمس.

والشَّرْقُ: حيث تشرق الشمس، ويُقال لكل شيء طلع من قبل المَشْرِقِ.

وشرقت الشمس وأشرقت: طلعت.

وأشرقت الشمس: أضاءت، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾^(٣).

والشرق: الشَّقُّ، تقول: شَرَقْتُ الشاة: شققت أذنّها.

والشَّرْقُ: الغصة بالماء ونحوه.

(١) معجم متن اللغة: موسوعة لغوية حديثة، أحمد رضا، (بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٣٧٨هـ)، ٣١٠/٣.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٦م)، ٣٨/٥؛ والصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، ط ٢، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٣٩٩هـ)، ١٥٠٠-١٥٠١، مادة: (شرق)؛ والقاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ط ٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ)، ص ١٥٨، مادة: (شرق)؛ ولسان العرب محمد بن مكرم بن منظور، (بيروت، دار صادر، ١٤١٠هـ)، ١٧٣/١٠، مادة: (شرق).

(٣) سورة الزمر، من الآية: ٦٩.

«والتشريق: الأخذ في ناحية المشرق. يقال: شتان بين مُشَرِّق ومغرب. وشَرَّقُوا: ذهبوا إلى الشرق أو أتوا الشرق»^(١).

والألف والسين والتاء في (الاستشراق) للطلب، فيكون أقرب معاني الاستشراق في اللغة معنيان:

المعنى الأول: طلب الشرق وهو المكان الجغرافي المقابل للغرب، «وتحت هذا المعنى تدخل مفاهيم عديدة، فزيارة الشرق، أو الاهتمام به، أو الكتابة عنه، أو القراءة حوله، أو التخصص فيه، أو استعمارها، كلها تسمى استشراقاً»^(٢).

والمعنى الثاني: طلب النور والضياء.

وقد عرّف أحد اللغويين المتأخرين الاستشراق في اللغة بأنه: «طلب علوم أهل الشرق ولغاتهم»^(٣).

(١) لسان العرب ١٧٣/١٠ مادة: (شرق).

(٢) الاستشراق أهدافه ووسائله: دراسة تطبيقية حول منهج الغربيين في دراسة ابن خلدون، د. محمد فتح الله الزيادي، (د.م، دار قتيبة، ١٩٩٨هـ)، ص ١٤.

(٣) معجم متن اللغة ٣/٣١٠.

المطلب الثاني : تعريف الاستشراق في الاصطلاح:

أوردَ عدد من الباحثين الشرقيين والغربيين عددًا من تعريفات الاستشراق، وقد تعددت المنطلقات والزوايا التي ينظرون إليها في التعريف، فمنهم من عرفه بمفهومه اللغوي، ومنهم من عرفه بأحد أهم غاياته، ومنهم من نظر إليه باعتبار أنه علم وتخصص دراسي، إلى غير ذلك من الزوايا والمنطلقات؛ وسبب ذلك أن «الاستشراق يؤخذ بعدة مفاهيم متداخلة ومتكاملة في آن واحد»^(١).

وفيما يلي أهم الزوايا والمنطلقات والمداخل في تعريفات الباحثين، مع أمثلة من تعريفاتهم، وأختمها بالتعريف المختار:

أولاً: تعريف الاستشراق اصطلاحاً بالمفهوم اللغوي:

١- «الاستشراق هو علم الشرق».

٢- «علم العالم الشرقي». التعريفان لـ (رودي بارت Rudi Paret)^(٢)، وتبعه آخرون^(٤). وهذا الاعتبار في التعريف غير منضبط؛ لأن التحديد الجغرافي يختلف، فالشرق للألماني غير الشرق للأمريكي^(١). وبلدان الشرق أيضاً تختلف، فمنها المسلمة ومنها غير المسلمة.

(١) نقد الخطاب الاستشراقي: الظاهرة الاستشراقية وأثرها في الدراسات الإسلامية، د. ساسي سالم الحاج، (بيروت، دار المدار الإسلامي، ٢٠٠٢م)، ١/٢٠؛ وينظر: الاستشراق لإدوارد سعيد، ص ٤٦، ١٠٢.

(٢) مستشرق ألماني، ترجم معاني القرآن الكريم إلى اللغة الألمانية، توفي عام ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م. موسوعة المستشرقين، د. عبد الرحمن بدوي، ط ٣، (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٩٣م)، ص ٦٢.

(٣) الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية: المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه، رودي بارت، ترجمة د. مصطفى ماهر، (القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٦٧م)، ص ١١.

(٤) الاستشراق والحلفية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، (القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٧م)، ص ١٨؛ وزيارة جديدة للاستشراق مع دراسة للرؤية الاستشراقية المنصفة للرسول محمد ﷺ، أنور محمود زناقي، (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ٢٠٠٦م)، ص ٢٠؛ والاستشراق والإسلام: دراسة في أدب غوته، د. وليد كاصد الزبيدي، (عمان، دار مجدلاوي، ٢٠٠٩م)، ص ١٥.

لكن يُراد بالشرق في مدلول السياق التاريخي للاستشراق: آسيا وأفريقيا، كما يُراد بالغرب: أوروبا وأمريكا^(٢).

فالتعريف بهذا الاعتبار إطلاق عام، يتناول الشرق كله: أقصاه، ووسطه، وأدناه. في لغاته وآدابه وحضاراته وأديانه. لكن عندما يستخدمه المسلم أو العربي فإنه يعني به -في الغالب- الشرق الإسلامي، دون غيره^(٣).

ثانياً: تخصيص الاستشراق بالدراسات الغربية التي تتناول المسلمين وعلومهم:
الاستشراق: «الدراسة الغربية المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام»^(٤).
«وهذا هو المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق»^(٥).

ثالثاً: تعميم الاستشراق من حيث دارسوه، وتخصيصه من حيث مدروسه بالمسلمين:
١- الاستشراق: «تصدي علماء غير مسلمين، سواء كانوا من الشرق أو الغرب، وسواء كانوا عرباً أو غير عرب؛ لدراسة علوم المسلمين، وحضارتهم، ومعتقدهم، وتقاليدهم شعوبهم وعاداتهم»^(٦).
٢- «التيار الفكري الذي يتمثل في إجراء الدراسات المختلفة عن الشرق الإسلامي، والتي شملت حضارته وأديانه^(١) وآدابه ولغاته وثقافته»^(٢).

(١) ينظر: الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ص ١١؛ وظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، محمد فتح الله الزيايدي، (طرابلس: ليبيا، المنشأة العامة للنشر، ١٩٨٣م)، ص ٥٥.

(٢) الاستشراق للزيايدي، ص ١٨.

(٣) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٨؛ وينظر: الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، د. عبد الرحمن عميرة، (بيروت، دار الجيل، ١٤٢٠هـ)، ص ٩٠.

(٤) الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، ص ١٨.

(٥) الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال الاستشراق، ص ٩٠.

(٦) الاستشراق في الأدبيات العربية: عرض للنظرات وحصر وراقي للمكتوب، علي بن إبراهيم النملة، (الرياض، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤١٤هـ)، ص ١٧.

وهذا المدخل في التعريف يمكن جعله تعليقاً على المدخل السابق في تخصيص الاستشراق بالغربيين؛ حيث إن السابق لا يُدخل من يدرُس الإسلام من الشرقيين غير المسلمين؛ لأن المعيار في الاستشراق هو الكتابة عن الإسلام والمسلمين من قبل من لا يدين بالإسلام^(٣). وهي وجهة نظر مشككة إذا نُظر إلى الاستشراق بمفهومه العام الذي يتناول العالم الشرقي بجميع دياناته؛ مما يستدعي توسيع مصطلح الاستشراق بصورة كبيرة جداً، فيقال للمسلم الذي يدرس غير ديانته (مستشرق)، ويقال لكل شخص يدرس ديناً أو حضارة غير ديانته وحضارته مستشرقاً. ووجهة النظر هذه تحتاج إلى بحث موسع لا يتسع له المقام هنا.

رابعاً: تعريف الاستشراق بأنه علم يتناول المجتمعات الشرقية:

١- «ذلك العلم الذي تناول المجتمعات الشرقية بالدراسة والتحليل من قبل علماء الغرب»^(٤).

٢- «هو علم يدرس لغات شعوب الشرق وتراثها وحضارتها ومجتمعاتها وماضيها وحاضرها»^(٥).

ولا يصح جعل الاستشراق علماً؛ لأن العلم «مجموع مسائل وأصول كلية تجمعها جهة واحدة، كعلم الكلام، وعلم النحو»^(٦)، والاستشراق ذو طبيعة شمولية تناولت كل شيء عن

(١) الإسلام دين واحد، فلا يصح هذا الجمع في التعريف، إلا إذا قصد به الديانات المختلفة التي يعيش أهلها في بلدان المسلمين.

(٢) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف د. مانع بن حماد الجهني، ط ٥، (الرياض، دار الندوة العالمية، ١٤٢٤هـ)، ٦٨٧/٢.

(٣) ينظر: الاستشراق في الأدبيات العربية، ص ١٧.

(٤) نقد الخطاب الاستشراقي ٢٠/١.

(٥) استخلصه د. أحمد الحصين من كتاب تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، لعبد الجبار ناجي. نشأة الاستشراق مراحل ودوافع المستشرقين، د. أحمد بن عبد العزيز الحصين، (القاهرة، مكتبة الإيمان، ١٤٣٢هـ)، ص ١٦.

(٦) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٤، (د.م، مكتبة الشروق، ١٤٢٥هـ)، ص ٦٢٤.

الشرق، وهو أيضًا لا يتمتع كبقية العلوم الأخرى بصفات الديمومة الثبات والاستقرار^(١)، بل وليس له منهج واضح يحتكم إليه، ويمكن به تناول الأشياء بموضوعية علمية^(٢). وهناك دوافع للاستشراق لا يمكن أن توصف بأنها دوافع علمية؛ لأنها لا تحرص على الحقيقة العلمية، بل تحاول تشويهها بباعث من تعصب راسخ، عميق الجذور^(٣).

خامسًا: تعريف الاستشراق بأنه تخصص دراسي جامعي، ومجال بحثي:

١- «الاستشراق بالمعنى الدقيق مجال من مجالات البحث العلمي»^(٤).

٢- مفهوم جامعي يراد به^(٥): «الدراسات الغربية التي تناولت الشرق من جميع جوانبه الدينية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية»^(٦).
ومما يُعَلَّقُ به على بعض التعريف: أن الاستشراق لا ينحصر في أروقة الجامعات ومراكز البحوث، بل من المستشرقين من كان يعمل بمفرده، وينشر أبحاثه بمعزل عن هذه المؤسسات الجامعية والبحثية.

سادسًا: تعريف الاستشراق بنزعتة العنصرية الغربية:

«الاستشراق أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين ما يسمى "الشرق"، وبين ما يسمى -في معظم الأحيان- "الغرب"»^(٧).

(١) نقد الخطاب الاستشراقي ٢١/١-٢٢.

(٢) ينظر: أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ١٤٦.

(٣) ينظر: لمحات في الثقافة الإسلامية، عمر عودة الخطيب، ط ٢، (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٧هـ)، ص ١٩٠.

(٤) الاستشراق لإدوارد سعيد، ص ١١٠.

(٥) الاستشراق للزيادي، ص ١٩.

(٦) المرجع السابق.

(٧) الاستشراق لإدوارد سعيد، ص ٤٥.

«فهو يُعبّر عن قوة الغرب وضعف الشرق، من وجهة نظر الغرب»^(١). وهو «في منطقته المتعالي ينسجم تماماً مع نظرة الاستعلاء والعنصرية الغربية، فالغرب... يرى نفسه معدن الحضارة، ومركز العالم، والجدير بالسيطرة والتفوق»^(٢).

«وإذا كان جوهر الاستشراق هو التمييز المتأصل بين التفوق الغربي والدونية الشرقية، فلا بد أن نستعد لملاحظة أن تطور الاستشراق ومراحله التاريخية اللاحقة عمقت ذلك التمييز وزادته صلابة»^(٣).

ويُعتبر على هذا المدخل بوجود مستشرقين يعترفون بتميز الحضارة الإسلامية ولا ينطلقون من التميز الغربي. إلا إذا قُصد بالتعريف أن ذلك هو الاتجاه الأقوى.

سابعاً: تعريف الاستشراق بأحد أهم غاياته:

عرّفه إدوارد سعيد^(٤) بكونه: «أسلوباً غربياً للهيمنة على الشرق، وإعادة بنائه، والتسلط عليه»^(٥).

وهذا تعريف له من الناحية الاستعمارية والهيمنة السياسية، اللتين جعلتا من الاستشراق وسيلة لتحقيق بعض أهم غايات الاستشراق في القديم والحديث، وعلى رأسها: الهيمنة على الشرق في كثير من المجالات.

(١) المرجع السابق، ص ١٠٤.

(٢) الاستشراق: دراسات تحليلية تفويجية، د. محمد عبد الله الشرقاوي، (القاهرة، دار الفكر العربي، ت المقدمة ١٩٩٢م)، ص ١٧٨.

(٣) الاستشراق لإدوارد سعيد، ص ٩٩.

(٤) فلسطيني نصراني، ولد في القدس عام ١٣٥٦هـ/١٩٣٥م، وتوفي عام ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ويُعد من المدافعين عن الإسلام، اشتهر بكتابه (الاستشراق) الذي صدر باللغة الإنجليزية عام ١٣٩٨هـ. الشرق والغرب: محددات العلاقات ومؤثراتها، علي بن إبراهيم النملة، (الرياض، المؤلف، ١٤٢٥هـ)، ص ١٣٣-١٣٧.

(٥) الاستشراق لإدوارد سعيد، ص ٤٥-٤٦.

وينقده أ.د. محمد خليفة بقوله: «وهذا التعريف لا يركز على محتوى الاستشراق ومضمونه بقدر التركيز على تأثير الاستشراق ونفوذه وسلطته ووظيفته، والحقيقة أن الاستشراق يجب أن ينظر إليه في شموليته كمستودع للمعرفة الشرقية، ومصدر لهذه المعرفة يعود إليها المتخصصون وغيرهم في الغرب والشرق»^(١). على ما فيها من صدق وكذب، وموضوعية وتجن.

ثامناً: التعريف المختار:

بعد عرض منطلقات انطلق منها الباحثون في تعريفهم للاستشراق، وأغلبها لا يخلو من ملحوظات عليه، يختار الباحث تعريفاً يرى أنه جمع جملة من المنطلقات السابقة، وقرب كثيراً من حقيقة الاستشراق، وهو تعريف أ.د. محمد خليفة، وهو -بعد تهذيبه- ما يلي:

الاستشراق: جهود فكرية يقوم بها غربيون، تستخدم العلم، وتجعله وسيلة لدراسة العالم الشرقي، أو تحقيق تغريبه وفرض الهيمنة عليه^(٢).

(١) أزمة الاستشراق الحديث والمعاصر، ص ١٤١-١٤٢.

(٢) المرجع السابق، ص ١٩٣.

المطلب الثالث: تعريف الاستشراق الحديث:

يعتمد تعريف الاستشراق الحديث على معرفة الزمن الذي ظهر فيه، والمظاهر والسمات التي رصدها الباحثون وجعلته يظهر بصورة تختلف عن الاستشراق السابق.

أما الزمن الذي يُعد تأريخاً لبداية الاستشراق الحديث فهو نهاية الحرب العالمية الثانية عام ١٣٦٤هـ/١٩٤٥م، حيث تحولَ مركز الثقل العالمي، بانتقال اليد الاستعمارية من أوروبا إلى الولايات المتحدة الأمريكية، التي اجتذبت كثيراً من المستشرقين الأوروبيين إليها؛ فأفرز هذا الانتقال لوناً جديداً في طريقة دراسته للشرق، بما يؤهله بأن يوصف بأنه استشراق حديث^(١).

هذا اللون الجديد تمثل في عدد من المظاهر والسمات والتعديلات، سيأتي الحديث عن بعضها في مبحث طبيعة الاستشراق الأمريكي الحديث، وأشير هنا إلى مجملها، فمن ذلك رفضه لمصطلح (الاستشراق، والمستشرق)، وظهوره بأسماء أخرى متعددة متنوعة. وتركيزه على الناحية السياسية والاقتصادية والاستعمارية. وتخفي الانتماء الديني تحت ستار المذاهب الفكرية المعاصرة. وإنشاء المراكز والمعاهد العلمية المتخصصة، واستحداث برامج وأقسام في الجامعات، صارت فيها الدراسة الجامعية للشرق فرعاً من فروع السياسة الوطنية. واتجاهه إلى العمل الجماعي الجاد والمنظم، والإقلال من الأعمال الفردية. ومحاولته استحداث علم اجتماع خاص لمنطقة الشرق الأوسط. وعنايته بالبحوث الميدانية، وبدراسة تطبيق المسلمين المعاصرين للإسلام، وتحليل خطابهم المعاصر، والعزوف عن دراسة مصادرهم التي يعتمدون عليها. فالاستشراق لم ينقرض في العصر الحديث، لكنه تحول إلى لون جديد.

(١) ينظر: تطور الاستشراق في دراسة التراث العربي، د.عبد الجبار ناجي، (بغداد، دار الجاحظ، ١٩٨١م)، ص ٦٣؛ وظاهرة انتشار الإسلام وموقف بعض المستشرقين منها، ص ٧٣-٧٤؛ والاستشراق للشرقائي، ص ١٠؛ وبحوث في الاستشراق الأمريكي المعاصر، ص ٤؛ ونقد الخطاب الاستشراقي ١/١٥٩؛ والاستشراق والإسلام، ص ٢٠؛ ونظرة الغرب إلى الحجاب: دراسة ميدانية موضوعية، كاثرين بولوك، ترجمة شكري مجاهد، (الرياض، مكتبة العبيكان، ١٤٣٢هـ)، ص ٢٥.

وبناء على ذلك، ومع الإفادة من التعريف المختار في المطلب السابق، يمكن للباحث أن يعرف الاستشراق الحديث بأنه: جهود فكرية منظّمة يقوم بها غربيون، بدأت بعد الحرب العالمية الثانية، تستخدم العلوم الاجتماعية والإنسانية الحديثة، وتجعلها وسيلة لدراسة العالم الشرقي، أو تحقيق تغريبه وفرض الهيمنة عليه، أو هما معاً، وذلك من خلال مؤسسات ووسائل وأساليب جديدة.

وهناك تعريفات أخرى لبعض الباحثين من أبرزها تعريف الاستشراق الحديث بأنه: «عمل سياسي اجتماعي متخصص، يهتم بمراقبة ودراسة الأوضاع السياسية، والأشخاص، والأحزاب، والأفكار السياسية، والعوامل الاجتماعية، في المجتمعات الإسلامية، دراسة وافية، ووضع حلول لها»^(١).

(١) "نهاية الاستشراق القديم وبداية عهد جديد"، محمد حامد الأحمرى، البيان، المنتدى الإسلامي،

لندن: ٨٧٤، ذو القعدة ١٤١٥هـ، ص ١٠١.